

مداخلة الملتقى الدولي الأول في اللسانيات بعنوان:
النص التعليمي والمتلقي المغربي في ضوء مستجدات الدرس اللساني
يومي 26 / 27 فيفري 2019

عنوان المداخلة: تعليمية النص الأدبي في الجامعة دراسة في ضوء نظرية التلقي.

تمهيد:

يعدّ النصّ عامة ركيزة أساسية ودعامة يستند عليها المتعلّم والمعلّم على السواء، بل العملية التعليمية ككل، فهو وحدة تعليمية تجمع في طياتها معارف عديدة: لغوية وتربوية ونفسية واجتماعية وثقافية... ليصير بذلك النص وحدة معرفية تتفاعل في رحمتها معارف لسانية وغير لسانية، تتميز بخاصية الزمان والمكان، ويعدّ النص التعليمي قاعدة أساسية في الدرس اللغوي وآلية مساعدة على التحصيل اللغوي عن طريق القراءة التي هي أداة تعليمية تعليمية يتحقق من خلالها النقل التعليمي الديدانكتيكي للمعارف.

وللنص التعليمي أهمية في دراسة الأدب وتربية ذوق المتلقي/المتعلّم الأدبيّ وتعرّفه على مميّزات اللغة وخصائصه وتنمي ثقافتهم الأدبية وتزودهم بثروة لغوية وكل هذه الفوائد تدخل ضمن ما يسمى بالتعليمية، وباعتبار النصّ عامة وحدة تعليمية، فإنّ النصّ الأدبيّ يمثل داخل هذه الوحدة التعليمية منظومة معرفية تتأسس على المعرفة والجانب النفسي والعاطفي. ومن هنا يأتي الاهتمام بتعليمية النصّ الأدبي في المرحلة الجامعية بالاستناد إلى المرحلة ذاتها، فهي مرحلة مهمة في إعداد طالب الغد غير أنّ تدريس النصّ الأدبي فيها في وقتنا الحاضر مازال يعرف تعثرا ييداغوجيا وديداكتيكيا على مستوى التوصيل والتبليغ، وغموضا في تحديد المصطلح ومقارنته المنهجية.

وعلى هذا الأساس تبحث هذه الدراسة في مفهوم التعليمية ومفهوم النصّ الأدبي وإشكالية تعليمية النصّ الأدبي في مرحلة الجامعة في ظل المناهج الكثيرة التي عرفها، وما مدى فاعلية الطالب/المتعلّم/المتلقي في امتلاك وسائل خرق واقتحام خبايا النصّ الأدبي وجمالياته الفنية؟ وما هو المنهج البديل في دراسة النصّ الأدبي في مجال تعليمية النصوص عامة والأدبية خاصة؟ وما مدى فاعلية نظرية التلقي في دراسة الأدب والنصّ الأدبي؟.

1- مفهوم التعليمية:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "... عَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ... وَعَلِمَ الأَمْرَ وَتَعَلَّمَ:

أَتَقَّنَهُ" (1).

ب- اصطلاحا:

من الصعب تقديم مفهوم جامع مانع للتعليمية إذ لكل عالم نظرتة في هذا العلم؛ غير أنها تشمل " كل ما يمس سير عملية التعليم والتعلم سواء تعلق الأمر بالطرائق والتقنيات والخطوات التي يستعملها المدرس أم تعلق بالمفاهيم والتوجيهات والنظريات التي تحاور عملية التدريس وتحاول رسم قنوات سيرها" (2). أما موضوعها فيتمثل في عملية البحث "عن التفاعل الموجود بين النشاطين التعليمي/التعلمي... وتتمركز حول الفعل التعليمي وارتباطه بالمحتويات ومفاهيمها المتعلقة بها" (3). كما يمكن حصر موضوعها (التعليمية) "في دراسة آليات اكتساب وتبليغ المعارف المتعلقة بمجال معرفي معين، فهي تمثل في آن واحد تفكيراً وممارسة يقوم بهما المدرس لمواجهة الصعوبات التي يلاقيها في تعليم مادته" (4).

2- مفهوم النص الأدبي:

يتألف هذا المفهوم من عنصرين هما: النص والأدب، ولكل منهما مفهومه الخاص به من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

1- النص:

أ- لغة: النص من الناحية اللغوية تدور دلالاته حول الرفع والإظهار وذلك وفقا لما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور من أنّ "النصّ رَفْعُك الشيء، ونصّ الحديث يُنصُّه نصًّا: رفعه. وكل ما أظهر فقد نُصّ... يقال نص الحديث إلى فلان أي رَفَعَهُ... " (5).

ب- اصطلاحا: تتعدّد تعريفاته بتعدّد مجالات الدراسة من لسانية وتعليمية. فمن الناحية اللسانية هو "تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى" (6). ومن الناحية التعليمية/البيداغوجية "وحدة تعليمية تمثل محورا تلتقي فيه المعارف اللغوية" (7).

2- الأدب:

أ- لغة:

جاء في معجم لسان العرب "الأدب: أدب النفس والدّرس. والأدب: الظرف وحسن التناول. وأدب بالضم فهو أدیب من قوم أدباء..."(8). ومعنى هذا أنّ الأدب في اللغة يدل على تهذيب النفس والأدب والظرف وحسن التناول.

ب- اصطلاحاً:

يختلف مدلول الأدب في الاصطلاح باختلاف العصور التاريخية ما بين قديمة وحديثة ف"هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ منها كلّ بطرف من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط..."(9). ومن ناحية أخرى هو شكل من أشكال التعبير عن النفس الإنسانية من عواطف وأفكار، أو هو "التعبير باللفظ الجميل عن المعنى الجميل"(10). وبهذا فالنص الأدبي بمعناه العام هو "كلا لغوياً تعبيرياً وتبليغياً في إطار حقل معرفي محدد، إنّه ممارسة لغوية أو فكرية أو إبداعية أو علمية أو فنية أو ثقافية أو تعليمية..."(11). وعليه فالنص الأدبي يتصف من الناحية الإجرائية العملية بالخصائص التالية:

✓ يهتم بإيصال الأفكار والمشاعر بطريقة فنية تجذب القراء.

✓ يعمل على التأثير في المتلقي.

✓ وحدة تعليمية تواصلية، ذلك أنّ النص "مكوناً أساسياً من مكونات العملية التعليمية، باعتبار النص يحمل مضموناً معرفياً ولغوياً، يتطلب من الأستاذ إفهامه للطلاب"(12). وبهذا فالنص الأدبي يعدّ فضاء مميّزاً لممارسة الفعل التعليمي، غير أنّ حقل تعليمية النصوص الأدبية مازال جديداً والأبحاث فيه مغمورة ويشوبها نوعاً من الغموض والضبابية خاصة فيما يخص الآليات المنهجية والمعرفية في تحليل هذه النصوص.

3- إشكالية تعليمية النص الأدبي في مرحلة الجامعة:

إنّ المتتبع لعملية تعليمية النص الأدبي في مرحلة ما قبل الجامعة ومرحلة الجامعة في الجزائر يلاحظ بأنّها قد مرّت بثلاث مراحل:

• المرحلة الأولى: وخضعت لنظام برنامج التعليم الذهني وإتباع مسار تلقين المعارف "على أساس أنّ

التربية تتحقق عن طريق كم من المعارف الجاهزة التي تُقدّم إلى المتعلّم"(13).

● **المرحلة الثانية:** انتقل فيها النظام التربوي والتعليمي إلى نظام المنهاج الذي يقوم على أساس بيداغوجية الأهداف والتركيز على التعلُّم بدل التعليم، ودور المتعلم الفعال، وكان من أهدافه العامة "التعمق في فهم اللغة وآدابها، وإجادة توظيفها وتثمين الصلة بتراث الأمة الفكري واللغوي والأدبي والاعتزاز بعظمة إنجازها الحضاري عبر التاريخ وترسيخ روح الانتماء والأصالة، والتعمق في فهم المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والتفاعل معه تفاعلا إيجابيا وإثراء الرصيد المعرفي، والخبرات، وتوسيع مجال الأفكار والاهتمامات... وإذكاء الإحساس بالجمال وتنمية الذوق الفني وتهذيبه... وإكساب منهجية التفكير والعمل..." (14). أما أهدافه الخاصة فتراوحت ما بين الأهداف المعرفية والمهارية والوجدانية التي تركز على الجانب اللغوي والجانب الأدبي من خلال دعم المعارف اللغوية للمتعلم، وإكسابه أدوات وآليات الفهم والتحليل والتفسير والتعليل والنقد الموضوعي، والقدرة على استعمال اللغة العربية في التواصل الشفهي والكتابي، وامتلاك الذوق الأدبي والتشبع بالقيم الروحية للأمة... (15).

وكذا "التعرف على فنون الأدب وأغراضه وتطوره... في مختلف العصور، والتعرف على شخصيات أدبية وفكرية طبعت عصرها بإنتاجها الفكري والأدبي المتميز، والإطلاع على نماذج من المؤلفات الكاملة، وأمهات الكتب في الأدب والفكر، وتنمية مواهب المتعلم الإبداعية وملكة ذوقه الأدبي، والتحكم في المصطلحات الأدبية والفنية وتوظيفها في التحليل والنقد والتعبير والبحث الأدبي" (16).

● **المرحلة الثالثة:** الانتقال إلى بيداغوجية المقاربة بالكفاءات/منهاج المقاربة بالكفاءات حيث أصبحت تعليمية النص الأدبي تقوم على المقاربة النصية التي هي من منظور بيداغوجي "مقاربة تعليمية تهتم بدراسة بنية النص ونظامه، حيث تتوجه العناية إلى مستوى النص ككل، وليس إلى دراسة الجملة. إذ إن تعلم اللغة هو التعامل معها من حيث هي خطاب متناسق الأجزاء، منسجم العناصر. ومن ثم تنصب العناية على ظاهرة الاتساق والانسجام التي تجعل النص غير متوقف على مجموعة متتابعة من الجمل، بل تتعدى ذلك إلى محاولة رصد الشروط المساعدة على إنتاج نص محكم البناء متوافق المعنى" (17).

كذلك المتبع لعملية تعليمية النص الأدبي في مرحلة الجامعة في الجزائر يلاحظ أنّ الدرس الأدبي في جامعاتنا قد عرف عدّة مفاهيم نقدية أساسية كالذوق، التاريخ، الواقع، الجمال، المؤلف، النص، القارئ... ولكن المنهج اللانصوبي الذي يجمع بين القراءة التاريخية والمقاربة الفنية، بقي هو المنهج السائد والمفضل في الدرس الأكاديمي

الجامعي والتعليم الثانوي. وهكذا بقي الباحثون والمدرسون يطبقون في مدارسنا وجامعاتنا منهجا نقديا مرّ عليه قرنان من الزمن بنفس المنوال ونفس الخطة(18).

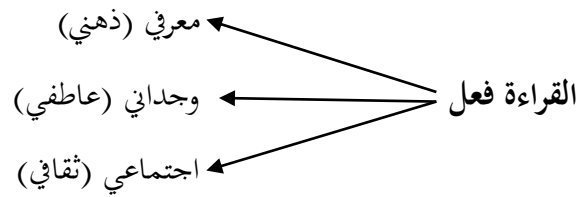
وبالتالي الحديث في القضايا التي تهم منهجنا التربوي في الحقول التعليمية خاصة في مرحلة الجامعة باعتبارها مرحلة مهمة في إعداد المتلقي/المتعلّم، تعدّ نقطة مهمة، وجب النظر فيها وإعادة تعديلها، خاصة ما تعلّق منها بتعليمية الأدب والنص الأدبي، باعتبار أن النص الأدبي حاضر في جميع الأطوار التعليمية، وكل ضعف يشمل مراحل التعليم يشمل النص الأدبي في الوقت نفسه. خاصة في ظل المتغيرات المتعددة في عصرنا الحالي، والتي أدت إلى انقلاب في طرائق معالجة النصوص الأدبية، وأدت إلى كثرة التساؤلات حول فهم النص الأدبي وتحليله وقراءته، الأمر الذي أدى إلى البحث عن بدائل جديدة، بغية تحليل وفهم وتذوق النصوص الأدبية. فظهرت المناهج النقدية الحدائثية التي ولدت من رحم الدراسات اللغوية الحديثة كالبنوية والأسلوبية والألسنية والسيمائية والمقاربة التداولية والتفكيكية...، والتي تناولت النص من زوايا متعددة، غير أنّ هذه المقاربات أصبحت تشكل أزمة في بيان أثرها على دراسة النص الأدبي وتعليمه وهذا ما أدى في هذه الدراسة إلى اقتراح نظرية التلقي كبديل منهجي في دراسة النص الأدبي وتعليمه خاصة في مرحلة الجامعة، حيث يعدّ الطالب/المتلقي/المتعلّم العنصر الأساس في العملية التواصلية بحيث يستقبل النص الأدبي ويقوم بالتفاعل معه والتأثر به.

4- منهج التلقي والتقبل والتأثر كبديل منهجي وإجرائي في تعليمية النص الأدبي:

إنّ المتبع لواقعنا التعليمي في الجزائر يدرك أنّ هناك بعض القصور الواضح في تدريس النص الأدبي بصورة عامة والقراءة بصورة خاصة، وهذا راجع إلى الإستراتيجيات التي تعالج المحتوى القرائي المقدم للطلبة، إضافة إلى الفهم الخاطئ لمفهوم القراءة في هذه المرحلة التعليمية المهمة والتي مازالت تقف عند مستوى الفهم السطحي، وعدم التركيز على أهمية القراءة بوصفها مهارة لغوية وأداة من أدوات التعليم التي يعتمد عليها الطالب في تعلمه. الأمر الذي يبعث على ضرورة التأكيد على أهمية القراءة الواعية التي تعمل على تطوير الذات المتعلمة مع التركيز على دور القارئ/المتلقي/المتعلّم فيها.

فالتأكيد على دور القارئ/المتعلّم في نص القراءة من أهم الأدوار التي تعتمد عليها نظرية التلقي في تنمية مهارات القراءة الناقدة، وهذا ما يؤكد أننا بحاجة ماسة إلى اعتماد هذه النظرية التي أثبتت فاعليتها الأدبية والنقدية من خلال طرحها لبعض الحلول المنهجية لأزمة البحث في مجال الثقافة والأدب، وفي مجال اللغة العربية وبهذا كانت نظرية التلقي النموذج الجديد الذي يمكن اعتماده في قراءة الأعمال الأدبية والفنية، غير أنّ الدراسات العربية التي تضمنتها على المستوى التربوي أو التعليمي تكاد تكون قليلة وهذا ما دفع هذه الدراسة إلى التركيز على تعليمية

النص الأدبي في الجامعة من خلال اتخاذها من نظرية التلقي وتطبيقاتها التربوية منطلقاً أساسياً في تنمية مهارات القراءة الناقدة لطلبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة الجزائرية، خاصة وأن الطلبة في كلية الآداب يفتقدون إلى مهارات القراءة الناقدة ذات الصلة بنظرية التلقي، ويركزون فقط على القراءة التحصيلية. إنّ منهج التلقي والتقبل والتأثر في مجال الأدب عامة وتعليمية النصوص الأدبية خاصة يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه وهو كذلك القارئ الحقيقي له، ويعني هذا أن العمل الأدبي لا يكتمل إلا عن طريق القراءة التي هي:



فالقراءة فعل معرفي معقد ينجزه متلق/قارئ/متعلّم لمقروء هو النصّ الأدبي الذي يستثمر فيه الثقافي والوجداني. وهذا يجعل النصّ الأدبي يركز على الملفوظ اللغوي (النص) والتأثير الشعوري (القارئ) في شكل ردود تجاه حمولات النص. وعن طريق القراءة يتحقق النص بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله. فاستغلال النصّ الأدبيّ ومحاولة فهمه وتأويله لا يتم إلاّ بوساطة الدور الذي ينهض به القارئ في هذه العملية، باعتباره المعنى بالخطاب، فهو متلقّي النصّ، وهو الذي يضيء أبعاده وعتباته من خلال الوقوف على قيمته ودلالاته بقراءاته الواعية التي تمنح النصّ أبعاداً وآفاقاً تأويلية لا تنتهي، من خلال اكتشافات جديدة لكونه منتجاً ثانياً له، وهو الذي يفتح آفاقاً هائلة أمام عملية القراءة التي تعتبر شكلاً من أشكال الحوار بين القارئ والنصّ، ونشاطاً منتجاً يجعل القارئ/المتلقّي شريكاً في عملية الإنتاج. وهو ما يميّز القراءة الجديدة من القراءة التّقليديّة القديمة التي لم يكن القارئ فيها منتجاً للمعاني بقدر ما كان مستهلكاً لها، فقد اتّسمت بال تكرارية والآلية العقيمة التي تنحصر في المعنى القائم في ذهن الكاتب/المعلّم، ممّا جعل القراءة الأدبيّة تواصلية استهلاكية وليست إنتاجية (19).

لقد كان هدف نظريّة التلقّي أن يكون القارئ/المتعلّم حرّاً في استقبال النص. وبالتالي تركيز الاهتمام المطلق على الدور الفعال للمتلقّي/المتعلّم كذات واعية لها نصيب الأسد من النصّ وإنتاجه. وبالتالي عندما نتكلّم عن كيفية تطبيق إجراءات نظرية التلقي في تعاملها مع النص وكيفية استثماره في ما يخدم النص التعليمي باعتباره أداة وظيفيّة فاعلة في إنجاز العملية التعليمية والتي من بينها تفاعل المتعلّم مع النص الوسيلة. نقول: إنّ ميدان تعليم

القراءة قد شهد تغيراً كبيراً في مفهوم القراءة، فلم يعد مفهوم القراءة ينحصر في المفهوم التقليدي القديم الذي ظل سائداً في كليات اللغة والأدب العربي، والذي كان فيه المتعلم مجرد مستهلك خمول، فقد تغير هذا المفهوم بحيث أصبحت القراءة عملية عقلية متنوعة متعددة، ونشاطاً منتجاً يجعل القارئ/المتلقي/المتعلم شريكاً في عملية الإنتاج. وقد انعكس هذا التغيير في مفهوم القراءة على طرق تدريس المهارات اللغوية والأدبية على السواء.

ويرجع هذا التغيير إلى ظهور تيارات جديدة غيرت النظرة للغة والقراءة وطبيعة عمل الذهن فيها ودور القارئ، ومن بين هذه التيارات/النظريات التي كان لها دور مؤثر في تطوير القراءة والتركيز على دور القارئ نظرية التلقي، والتي من أبرز ممثليها هانز روبرت يابوس (H. R. Jauss) وفولفغانغ إيزر (WOLFGANG ISER). وقد ظهرت نظرية التلقي كنتاج لتفاعل العديد من النظريات المعرفية والأفكار الفلسفية والتصورات التي ميّزت المناهج النقدية والفكرية التي عنيت بقضية الفهم والاستيعاب والتأويل وخاصة ما يتعلق منها بالنصوص الأدبية، وبتحويل الاهتمام من المؤلف والعمل الأدبي إلى النصّ والقارئ/المتلقي لتؤكد على أن التلقي ليس سلبياً أو آلياً، كما أن القارئ ليس مجرد مستهلكاً وإنما منتجاً ثانياً للنص. فالنصّ في ذاته مجرد إمكانيّة لا تتحقق إلاّ بالمشاركة الفعالة للقارئ، وتتجدد القراءة يتجدد النصّ وتتعدد معانيه بحسب طبيعة الأسئلة التي ينطلق منها فعل القراءة، كما أنّ النصّ لا يكتسب مدلولاته إلاّ من خلال تفاعله مع قرائه أثناء عملية القراءة.

وهذا يعني أنّ العمل الأدبي يتموقع في الوسط بين النصّ و القراءة من خلال التفاعل الحميمي والوجداني الاتصالي بين الذات والموضوع، أي النصّ والقارئ كما توضح الخطاطة التالية (20):

النصّ ← العمل الأدبي ← القراءة

العمل الأدبي < النصّ
العمل الأدبي < القراءة
النصّ ↔ القارئ

القراءة = النصّ + القارئ

العمل الأدبي ← خطاب لغويّ قابل للقراءة + خطاب فنيّ قابل للتأويل.

وهذا كله نسفاً لما جاءت به البنيوية، التي اعتبرت النصّ بنية محدّدة ومغلقة، وأنّ القارئ محكوم بالنصّ ووظيفته لا تتجاوز الكشف عن "شفرة" النصّ وأنساقه المختلفة، وما القراءة إلّا نشاط يهدف إلى الكشف عن أسرار النصّ ونظامه المكون له. وبذلك "عدّت أفكارهم ومقترحاتهم على مشارف السبعينيّات تأسيساً لنظرية جديدة في فهم الأدب" (21) فكانت بذلك مدرسة "كونستانس الألمانية" بديل منهجيّ ومنعطف جديد نحو تأسيس أفق مغاير في مجال القراءة والتأويل، فمعها بدأ تعبيد الطريق نحو تكريس الحضور الأكبر للقارئ ولمسألة التأويل.

تمثل نظرية التلقي (**Reception Theory**) محوراً من محاور نظرية القراءة، والحقيقة التي تشير إليها نظرية التلقي أن التركيز على القارئ هو تركيز على النصّ أو من أجل النصّ، وبهذا حاولت نظرية التلقي من خلال أبرز علميها أن تقدّم مجموعة من المفاهيم النظرية والإجرائية البديلة للمفاهيم البنيوية. فقد طرح ياكوس مفهوماً إجرائياً جديداً أطلق عليه اسم "أفق انتظار القارئ" أو "أفق التوقع"، وأصبح هذا المفهوم يحتل موقعاً مركزياً في نظرية التلقي، وهو "مفهوم جماليّ يلعب دوراً مؤثراً في عملية بناء العمل الفنيّ والأدبيّ، وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقاً من فكرة أن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئاً ما. فأفق الانتظار أو التوقع يمثل الفضاء الذي تتمّ من خلاله عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبيّ الذي هو محور اللذة لدى نظرية التلقي" (22).

وفضلاً عن هذا نبّه ياكوس على مفهوم "تغيّر الأفق" أو "بناء الأفق الجديد" باكتساب وعي جديد يدعوه بـ"المسافة الجمالية" أي المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفاً والعمل الجديد، حيث يمكن للتلقي أن يؤدي إلى تغيير الأفق بالتعارض الموجود مع التجارب المعهودة، ويخيب ظن المتلقي في مطابقة معايير السابقة مع معايير العمل الجديد، وتتمّ عملية بناء المعنى وإنتاجه داخل مفهوم أفق الانتظار فيه يتفاعل تاريخ الأدب والخبرة الجمالية بفعل الفهم عند المتلقي (23).

وخطا إيزر خطوات أكثر إيغالاً في إشراك الذات المتلقية في بناء المعنى بوساطة فعل الإدراك. رأى أنّ الفهم الحقيقي للنصّ ينطلق من القارئ الذي هو المنتج الحقيقي للنصّ عبر عملية القراءة التي هي "تفاعل بين النصّ الذي يحتوي على إمكانات دلالية والقارئ الذي يحمل الكفاءات التأويلية. ومهما حاول القارئ كشف أبعاد النصّ ودلالته، فإنّ ما يتوصل إليه مجرد صورة من صور القراءة" (24)، وهو ما يبرز العلاقة القويّة بين القراءة ذاتها وبين ما يملكه القارئ من مكوّن ثقافيّ، إذ لا يمكن للقارئ أن يلج أعماق النصّ ما لم يكن مؤهلاً معرفياً لأنّ

القراءة ليست مجرد تلك الشائبة القائمة بين النصّ وقارئه، وإنما هي "خبرة محدّدة في إدراك شيء ملموس في العالم الخارجي ومحاولة التعرّف على مكوناته وفهم هذه المكونات ووظيفتها ومعناها" (25).

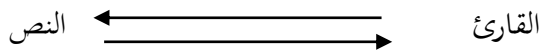
إنّ التركيز على عنصر الذات القارئة في التعامل مع الظاهرة الأدبية مرتبط بطبيعة تحديد المعنى في النصّ الأدبيّ. والذي يحدد إمكانات تأويل تلك المعاني هو القارئ اعتماداً على مجموعة من القرائن النصية التي تمنح القارئ حرية أكبر في تحديد المعنى أو المعاني التي يتضمنها النصّ، أو خلق معانٍ أخرى بطرق مختلفة. ما يهم إيزر في قراءة كل عمل أدبيّ هو التفاعل بين بنية النصّ وملتقيه.

وما كتاب إيزر "فعل القراءة" (**L'acte de lecture**) إلاّ محاولة لتصميم نظرية في القراءة باعتبارها شرطاً مسبقاً ضرورياً لجميع عمليات التأويل التي تكمن أهميتها في تفجير الطاقات الدلالية الاحتمالية الكامنة في النصّ بفضل المشاركة الفعالة للقارئ، الذي هو عند إيزر مرتبط بمبدأ النصّ المفتوح على آفاق رحبة (26).

وهذا ما يفسر تعدّد قراءات الملتقي الواحد وتباينها تبعاً للشروط والقوانين التي تخضع لها الممارسة التأويلية برومتها. "بمعنى أنّ فعل القراءة هو الذي يجعل النصّ مفتوحاً، قابلاً لإعادة الإنتاج، يملك قدرة أصيلة على استعادة ذاته بشكل متجدد؛ وذلك من خلال عمليتي التفسير والتأويل" (27)، وهو بذلك يحاول أن يسلك مسلكاً يهدف إلى نوع من التقارب بين الذات والموضوع، بين القارئ والنصّ، لأنّ المعنى في نظره نتيجة التفاعل بين الطرفين، بين النصّ والقارئ خلافاً للتأويل التقليديّ الذي يركز اهتمامه على توضيح المعنى الخفي في النصّ.

إنّ القراءة التي يعينها إيزر هي تلك التي لا تنظر إلى التواصل على أنّه علاقة ذات اتجاه واحد، من النصّ إلى القارئ، بل تنظر إلى التواصل في اتجاهين متبادلين من النصّ إلى القارئ ومن القارئ إلى النصّ في إطار علاقة تفاعلية كما يلي:

علاقة تفاعلية إنتاجية



كذلك اهتمّ إيزر بقضية بناء المعنى، وطرائق تفسير النصّ من خلال اعتقاده أنّ النصّ ينطوي على عدد من الفجوات التي تستدعي قيام الملتقي بعدد من الإجراءات لكي يكون المعنى في وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج، وهو يكشف بذلك، عن أنّ النصّ يتضمن حتمية تشكل ركناً أساسياً من وجوده إنّما ماثلة فيما يطلق عليه إيزر "القارئ الضمني" (28) الذي هو مجموع التوجهات الضمنية أو البنية النصية الموجودة داخل النصّ

والتي تحدّد أدواراً لأيّ قارئ فعلي (29). وبهذا كان البحث عن كيفية أن يكون للنصّ معنى لدى القارئ، معنيّ ينشأ نتيجة للتفاعل بين القارئ والنصّ باعتباره أثراً يمكن ممارسته نقطة انطلاق عند إيّاز الذي كانت مشكلة المعنى لدى القارئ هي المنطلق الحقيقي لاهتماماته. كان دائماً يتساءل: هل ثمة معنى حقيقيّ للنصّ؟، وهو بهذا "حاول أن يقدم رؤية تتعارض مع التفسير التقليديّ الذي حاول أن يوضح المعنى المخبئ في النصّ، فرأى المعنى في إطار كونه نتيجة للتفاعل بين النصّ والقارئ أي بوصفه أثراً يمكن ممارسته، وليس موضوعاً يمكن تحديده" (30).

ويّضح من كل هذا أنّ رواد نظريّة التلقّي، لعبوا دوراً جوهريّاً في طرح بعض الحلول المنهجية لأزمة البحث في مجال الثقافة والأدب، ودعوا إلى ضرورة إعادة النظر في القواعد القديمة التي تحكم الدّراسات الأدبيّة والفنيّة. وبهذا كانت نظريّة التلقّي الأنموذج الجديد الذي يمكن اعتماده في قراءة الأعمال الأدبيّة والفنيّة وأداة إجرائية في تعليمية النصوص الأدبية في مرحلة الجامعة باعتبار الطالب/المتعلّم/المتلقّي هو منتج ثاني للنصّ وليس مستهلكاً فقط للمعلومات التي يقدّمها المعلّم/المرسل. وبالتالي التركيز على دور القارئ/المتلقّي/المتعلّم في النصّ الأدبي كمدخل لتدريس الأدب أو تعليمية النصوص الأدبية، وهو مدخل جديد يتفق ونتائج الدراسات التربوية والنقدية، وهذا المدخل الجديد في تدريس الأدب يتمثل في مدخل التلقّي.

وانطلاقاً مما سبق نلخص إلى أنّ نظرية التلقّي تركز على مجموعة من الأسس التي يمكن اعتمادها كإجراءات تطبيقية على تعليمية النصوص الأدبية وتمثل فيما يأتي:

- التركيز على أهمية القراءة بوصها مهارة لغوية وأداة دينامية من أدوات التعليم التي يعتمد عليها الطالب في تعلمه ومن خلالها يمارس صنع الدلالة بنفسه عن طريق إثارة خبراته السابقة والمتعلقة بالموضوع، خاصة أنّ النصّ مهما كان نوعه ودرجة وضوحه يحتوي على ثغرات وفجوات يملؤها القارئ من خبرته السابقة.
- التأكيد على أهمية القراءة الواعية التي تعمل على تطوير الذات المتعلمة مع التركيز على دور القارئ/المتلقّي/المتعلّم فيها.
- ترك الحرية للمتلقّي/القارئ/المتعلّم في استقبال النصّ. والتركيز على دوره الفعال كذات واعية لها نصيب الأسد من النصّ وإنتاجه.
- أفق الانتظار أو التوقّع يمثل الفضاء الذي تتمّ من خلاله عمليّة بناء المعنى، فالمعنى يكمن في السياق العقلي للقارئ فهو الذي يضفي المعنى في أثناء القراءة على النصّ المقروء.
- العناية بتحديد العمليات العقلية التي يقوم بها القارئ في أثناء قراءة النصّ.

- النص ليس منتجاً سابق التجهيز، بل تحققه وإخراجه إلى الوجود يتمّ على يد القارئ/المتعلّم الذي هو قوة فعالة نشطة مشاركة مبدعة منتجة.
- التجاوب بين القارئ والمقروء يظهر أثره في فكر القارئ وعمله.

الهوامش:

- 1- ابن منظور: لسان العرب: مادة (علم)، تقدم الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل- دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (دط)، 1988، ص870.
- 2- تعليمية الأدب العربي للتعليم الثانوي: إعداد هيئة تأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، (دط)، 2004، ص45.
- 3- خير الدين هتي: مقارنة التدريس بالكفاءات، مطبعة ع/بن، ط1، 2005، ص128.
- 4- إبراهيم حمروش: التعليمية: موضوعها، مفاهيمها، الآفاق التي تفتحها، المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية الوطنية، المرادية، الجزائر، ع02، مارس، 1995، ص06.
- 5- ابن منظور: لسان العرب: مادة (نصص)، مرجع سابق، ص648.
- 6- سعيد حسن البحيري: علم لغة النص المفاهيم والإجراءات، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية للنشر، ط1، 1997، ص109.
- 7- بشير إبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1، 2007، ص129.
- 8- ابن منظور: لسان العرب: مادة (أدب)، مج1، تقدم الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل- دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (دط)، 1988، ص33.
- 9- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تح: ابن عبد الرحمن عادل بن سعيد، الدار الذهبية، القاهرة، (دط)، (دت)، ص651.
- 10- علوي عبد الله طاهر: تدريس اللغة العربية وفقاً لأحدث الطرائق التربوية، دار المسيرة، ط1، 2010، ص242.
- 11- بشير إبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص129.
- 12- خدير المغلي: تعليمية النص التعليمي للغة العربية وآدابها في الجامعة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع08، 2010، ص360.
- 13- مديرية التعليم الثانوي: منهاج اللغة العربية وآدابها، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، (دط)، 1995، ص07.
- 14- المرجع نفسه: ص11.
- 15- مديرية التعليم الثانوي والتقني، برنامج اللغة العربية وآدابها لشعب التعليم الثانوي والتقني السنة الثانية والثالثة ثانوي، ص07.
- 16- مديرية التعليم الثانوي: منهاج اللغة العربية وآدابها، مرجع سابق، ص12.

- 17- اللجنة الوطنية للمناهج: مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، ص14.
- 18- محمد مفتاح: مساءلة مفهوم النص، منشورات كلية الآداب والعلوم، جامعة محمد الخامس، وجدة، 1997، ص30.
- 19- وردة حلاسي: المسرح الجزائري المعاصر(2004-2014) بين النص والعرض -دراسة سيميائية في نماذج مختارة- رسالة دكتوراه في الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2018، ص199، 200.
- 20- المرجع نفسه: ص200.
- 21- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، (دط)، 1999، ص121.
- 22- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص47.
- 23- المرجع نفسه: ص54.
- 24- صالح ولعة : القراءة والتأويل، مجلة التواصل الأدبي، ع1، عنابة، الجزائر، 2007، ص183.
- 25- سيزا قاسم: القارئ والنص، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000، ص133.
- 26- وردة حلاسي: المسرح الجزائري المعاصر(2004-2014) بين النص والعرض -دراسة سيميائية في نماذج مختارة، مرجع سابق، ص202.
- 27- حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005، ص21.
- 28- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، مرجع سابق، ص122.
- 29- عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصوّر شامل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص189.
- 30- المرجع نفسه: ص124.